

## ظاهرة افتراض الأصوات وتنافرها

الدكتور صالح التميمي  
جامعة الأمير عبد الله الفادر؛  
قسنطينة — الجزائر

**أولاً : حصر صور الاقترانات غير المسموح بها من دون ضابط محدد :**

ذلك :

قول الماحظ : «فاما في افتتان الحروف فإن الجيم  
للتقارن النباء، ولا القاف، ولا الطاء،  
ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي  
للتقارن النباء، ولا السين، ولا الضاد،  
ولا الذال بتقديم ولا بتأخير». (2)

وَمَا يَلَاحِظُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِهَا تَقَارِبٌ  
غَيْرُ أَنَّ الْأَغْلُبَ لَمْ يَنْدَرِجْ تَحْتَ بَابِ تَقَارِبِ الْخَارِجِ.  
أَمَّا أَسْلُوبُ الْجَاحِظِ فِي تَحْدِيدِ هَذِهِ الْاقْتِرَانَاتِ غَيْرِ  
الْمُوْجُودَةِ، فَهُنَّ فِي أَغْلِبِ الظُّنُونِ قَدْ اعْتَدَ أَسْلُوبٌ  
الْإِحْصَاءِ لِلتَّرَابِكِ الصَّوْتِيِّ الْوَارِدَةِ فِي مَجْمُوعَةِ مِنِ  
النَّصْوصِ، نَظِيرٌ مَا يَسْتَخْدِمُهُ مِنْ أَسْلُوبٍ فِي إِحْصَاءِ

من الملاحظات الدقيقة لدى علماء العربية، التي تعد إحدى مجالات البحث الصوتي المتخصص «مسألة اقتران الأصوات العربية وتنافرها».

وقد جاءت هذه الملاحظات كنتيجة من نتائج دراساتهم خارج الأصوات، وفي هذا قال ابن دريد : « وإنما عرِفتُ الحجاري لتعرف ما يأْتُلُفُ منها ما لا يأْتُلُفُ، فإذا جاءتكَ كلمة مبنية من حروف لا تؤلُفُ مثلها العرب، عرفتَ موضع الدخل منها، فرَدَّتها غير هائب لها». (١)

ومن أساليب علماء العربية في تحديد معالم هذه الظاهرة هي :

كلفتني جرسا واحدا ...»<sup>(7)</sup>

وأكيد ابن جنبي هذا الاستثناء، فقال : «إذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قباع اجتماعهما، ولا سيما حروف الخلق». <sup>(8)</sup>

وأثقل صور هذا التقارب هو تجاور صوتى حلق، كما جاء في النصوص السابقة، وعلة هذا التقليل كما يرى السيرافي أن «حروف الخلق أشد علاجا، وأصعب إخراجا وأخرج إلى تمكين آلة الصوت من غيرها». <sup>(9)</sup>

و واضح أن الذي يريده السيرافي من «شدة العلاج» و«صعوبة الإخراج» هو التعبير عن إحساسه بعدم سهولة نطق أصوات الخلق نتيجة صلابة عضل الخلق بخلاف عضل اللسان.

ولم يلح ابن جنبي سيا آخر يزيد من كراهة ائتلاف أصوات الخلق، هو «تقارب مخارجها قربا لم يحدث في غيرها من الأصوات، إذ قال : «..... حروف الخلق هي من الائتفاف أبعد؛ لتقرب مخارجها». <sup>(10)</sup>

ولم يغفل علماء العربية من ورود بعض صور هذه الاقترانات التي اشتلت على أصوات حلق متتجاوزة،

قال ابن دريد : «..... وأصعبها حروف الخلق، فاما حرفان فقد اجتمعوا في كلمة مثل «آخر» بلا فاصلة، واجتمعوا في مثل «أحد»، وأهل، وعهد، ونحو .....». <sup>(11)</sup>

وجاء ابن جنبي وأخذ هذه الألفاظ وأضاف إليها، ونظمها على قسمين :

أ - اقتران مع فصل، نحو : هذا

ب - اقتران بدون فصل، نحو :

1 - أن تبدأ الممزة ويجاورها ثلاثة من

نسبة ترداد الوحدات الصوتية ؛ ذلك يعنى الأصوات الواردة في جملة من خطب الناس ورسائلهم. <sup>(3)</sup>

ثانيا : حصر صور الاقترانات غير المسرح بها بسبب تقارب الخارج

أي : أن النطق بصوتين متاليين متقاربين في مخرجيهما، يمثال إلى حد ما نطق صوتين متاليين متاليين، وفي كلتا الحالتين يشكل نطقهما صعوبة على اللسان؛ لأنه يرتفع من نقطة ما لنطق صوت معين، ماؤن يتبعه من نطقه حتى يعود إلى النقطة نفسها التي ارتفع منها، أو ملاصقة، أو مجاورة لها ليبعد العملية النطقية، وفي هذا تكشف مشكلة، وهو أمر أدركه اللغويون، ووقفوا على كراهة العرب لهذا النطق، حتى جنحوا إلى أسلوب يعالج هذه المشكلة : كالإبدال، والإدغام كراهة اجتماع مثلين. <sup>(4)</sup>

ولاقتران صوتين متقاربين متاليين نوعان، هما :

## 1 - ما هو ثقيل غير مستاغ :

نظر اقتران أصوات الخلق، وأقوال علماء العربية في هذا كثيرة، منها : قول الخليل بن أحمد : «العين لا تتألف مع الحاء في الكلمة واحدة. لقرب مخرجيهما». <sup>(5)</sup>

وقول البرد : «واعلم أنه ليس من كلامهم أن تلتقي همزتان فتحتقتا جميعا». <sup>(6)</sup>

والعلة واضحة هي مسألة وحدة المخرج. وقد شمل ابن دريد الصوتين المتقاربين بهذا الاستثناء أيضا، إذ قال : «واعلم أن الحروف إذا تقارب مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت؛ لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الخلق، دون حروف الضم، دون حروف الذلة

ثم إننا نجد ابن جنبي قد حاول تطبيق فكرة تقديم الأقوى على افتتان أصوات الخلق أيضاً على قلة الصور التي أحصيَتْ،

قال : «وكذلك حروف الخلق هي من الاختلاف أبعد ... فإن جُمِع بين الاثنين منها قدم الأقوى على الأضعف، نحو : أهل، وأحد، وأخ، وعبد...»<sup>(19)</sup>

ومن الأمثلة نعرف أنه يرى : أن الحمزة أقوى من آباء، والآباء، والآباء، والآباء، بدليل تقدمها عليهن، والعين أقوى من آباء، بدليل تقدمها عليها في «عبد».

وهنا نتساءل «ما المراد بقوّة الصوت وضعفه عندهم؟

والجواب على ذلك هو أننا لم نجد عندهم ضوابط دقيقة لذاتين الصفتين، وما جاء عنهم هو كلام عام ونسبي في موقع صوتية معينة. فـ «ابن السراج» :

أشار إلى قوّة الراء، وضعف اللام، وتمثل بـ «ورَل»<sup>(20)</sup> أي : بتقديم «الراء» على «اللام»، واستدل على قوّة الراء، بقوّة جرسها واعتراضها في النطق على الأُرث<sup>(21)</sup>، كما استدل على ضعف اللام بلينها، وانقطاع جرسها بفتحة.<sup>(22)</sup>

والذي أراه أنه جعل من تكرر ضربات اللسان حال النطق بصوت الراء – التي اصطلاح عليها بقوّة الجرس – صفة قوّة له.

وفي قبال هذا جعل لين اللام، وانقطاع صوته بفتحة، صفة ضعف له، علماً أنه مجدهم أيضاً كـ «صوت الراء».

وتابعه في هذا ابن دريد<sup>(23)</sup>، وابن جنبي<sup>(24)</sup>.

وكلام ابن السراج تقدير سليم، نجد له أثراً

أصوات الخلق هي : آباء، والآباء، والآباء، نحو : أهل، أحد، أحد،

2 — اختلاف الماء مع العين، في حال تقدم العين، نحو : عبد،

3 — اختلاف العين مع الآباء، في حال تقدم الآباء، نحو : نفع.<sup>(12)</sup>

ونضيف إلى اختلاف الحمزة مع غيرها من أصوات الخلق مجاورتها إلى العين والعين، نحو : أعلم، وأغني.

وشمل ابن دريد بهذا الاستثناء أصوات أقصى الحمزة، وهي عنده : القاف، والكاف، والجم، والشين<sup>(13)</sup>، وفي اختلاف هذه الأصوات، قال : «لم تأتِ الكاف والقاف في كلمة إلا بواحجز ... وكذلك حالمها مع الجيم .... إلا أنها قد دخلت على الشين لخشى الشين .....»<sup>(14)</sup>

وتابعه ابن جنبي في تعلييل عدم اختلاف الكاف، والتلفظ، والجم، بالمشقة، والكلفة في النطق، وأضاف إليها ما رفض استعماله لتقارب حروفه، نحو : سس، وسس، وظن، وظن، وقال : «وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه»<sup>(15)</sup>

أما حال الأصوات الأخرى إذا لزم السياق افتراضها، فإنها تتضمنها عددهم تحت مبدأ القوّة والضعف في الأصوات، فلا بد من تقديم الأقوى على الأضعف وأقواهم واضحة :

قال ابن السراج : «فمتى تألف منها شيء بدعوا بالأقوى من الحرفين»<sup>(16)</sup>.

وقال ابن دريد : «من شأنهم إذا أرادوا بهذا، أن يدعوا بالأقوى من الحرفين، ويؤخرروا الألين»<sup>(17)</sup>.

وقال ابن جنبي : «فيبغى إذا تداني الحرفان أن يُدعا بالأقوى منها»<sup>(18)</sup>.

للصوت منها. (30)  
وقرة «الدال» على «الشين» المتشتية، (31)  
وقرة «الصاد» على «السين» لما فيها من  
الاستعلاء. (32)

ولم نعد شيئاً من هذا في بحوث المحدثين، فقد  
قال الدكتور أحمد مختار عمر : «لاشك أن السين  
أكثر بساطة من الصاد؛ لأن الأخيرة تتضمن عملية  
إضافية على حركات نطق السين، وهذه العملية تمثل  
في حركة مؤخر اللسان إلى أعلى». (33)

وفي هذا تطابق واضح مع ما عنده ابن جنی  
في قوله السابق.

وإذا عدنا إلى كلام ابن جنی نجد أن الصفة  
الواحدة قد لا تكون ثابتة في الواقع كلها، وإنما تكون  
نسبية في موقع صوتية أخرى،

وذلك في قوله : «الطاء» أقوى من «الدال» في  
«وطد»

و«الدال» أقوى من «الشين» في  
«شد» (34)

وكذلك : «المزءة» أقوى من العين، والعين  
أقوى وأبشع من الحاء». (35)

وهذا يوضح لنا أن ابن جنی لم يكن  
بالمقارنة بين الأصوات القوية والضعيفة، وإنما قارن  
بين الأصوات التي وصفت بالقرة، فوجد أنها ليست  
في درجة واحدة من القرة.

ومن النصوص السابقة — على قلتها — يمكن  
لنا أن نرصد الصفات التي نسبوها إلى كل من القراءة  
والضعف،

فمن صفات القراءة : الجہر، والشدة، والاستعلاء،  
والتكثیر،

ومن صفات الضعف : الممس، والرخاوة.  
وكل ما تكررت صفات القراءة في الصوت الواحد،

في دراسات المحدثين،  
فقد قيل : «واللام والراء من مخرج واحد، وكلامها  
من النوع المجهور، ولكن تميز الراء بأنها  
صوت مكرر .... مما يجعله صوتاً مركباً  
بالنسبة لصوت اللام». (25)

وخلاصة هذا أن نطق الراء يتطلب مجهوداً  
عضلياً أكثر من المجهود الذي يبذل عند نطق اللام.  
ويرى ابن السراج أيضاً أن التشديد صفة قرة  
للصوت (26)، وهو أمر صحيح؛ لأن الجهد العضلي  
يكون مضاعفاً.

وأضاف ابن دريد إلى ذلك أن الصوت إذا  
أني عن الأدغام، فهو متآثر من قوته على الصوت  
الذي يدعم فيه. (27)

أما ابن جنی، فقد خص قرة الأصوات وضعفها  
بموضعين، هما :

أ — أثناء حديثه عما رفض استعماله لتقريب حروفه،  
وذكر أمثلة كان ابن دريد قد سبقه إلى ذكرها في  
حديثه عن اقتران أصوات الحلقة (28)، لكن ابن  
جنی نظمها، ورتبتها حسب فكرة القوة والضعف،  
وما ذكره :

— قوة «الهمزة» على «الباء» في «أهل»،  
وعلى «الباء» في «أحد»،  
وعلى «الباء» في «أخ»،

— وقرة «العين» على «الباء» في «عهد». (29)

ب — أثناء حديثه عن مقابلة الأنماط بما يُشاكِّل  
أصواتها من الأحداث، غير أن الحديث لم يكن عن  
القراءة والضعف حال تجاوز الأصوات، بل عن القراءة  
والضعف بين صورتين في كلمتين، من أجل اختيار  
الصوت الأقوى للمعنى الأقوى وبالعكس، وما  
ذكره :

قرة «الطاء» على «الدال» و«الباء»؛ لأنه أحضر

أقوى نفساً، وأظاهر نشاف.  
تقديم أثقل الحرفين». (38)

إما إذا لزم الأمر اجتاع صوتين متقاربين، ولا مجال فيما تقدم أحدهما على الآخر تجنب مسألة ثقل النطق، جلأوا إلى أسلوب آخر — للتخلص من هذا التتابع الصوتي غير المرغوب فيه — هو الإيدال، أو الإدغام، من أجل إيجاد التاسب الصوتي.

## 2 — ماهر سهل مستساغ

وهو النوع الثاني من افتراق الأصوات المتقاربة المتواالية، وقد جاءت منه صور اعترف بفضاحتها، نحو :

— ف ، م = فم  
— ت ، د = المند

— ج ، ش ، ي = جيش  
— ش ، ي = شين

ولم أقف على تعليلات من علماء العربية لورود هذه الافتقاتات التي تختلف ما ذهبا إليه من «أن الحروف إذا تقارب تخارجها كانت أثقل على اللسان» (39)، سوى ما جاء عن ابن دريد من أن دخول «الشين» على «الجيم» في «الشج» و«الجش» كان بسبب تتشي الشين، (40)، وهي تمثل حالة ابساط الفم معها، وانتشار الصوت عليه، وأنها أقرب إلى داخل الفم، أي : إنها ليست ملاصقة له، ففيها نوع من البعد. ويرى بعض المؤخرین كـ «ابن الأثير» : أن مثل هذه الأنماط مع حسنها وجمالها أناهاظ شذت عن القاعدة العامة التي ترى الحُسن مع تباعد الخارج (41).

ثالثاً : حصر الافتقات غير المسموح بها، لتأليف أصول الكلمات الرباعية والخماسية.

كان أكثر قوة من غيره، كما رأينا عند المقارنة بين الراء واللام الجبوريين.

ولم يعارض هذا التحديد إلا ماروي عن ابن السراج من أنه يرى قوة «التاء» — وهي مهمومة — على «الدال» — وهي مجحورة — معللاً ذلك «باتقطع الناء بجرس قوي، وانقطاع الدال بجرس لين» (36) وتابعه على هذا ابن جني (37)، وكأنهم نظروا في هذه القوة إلى كمية الدفعه الهوائية التي ترافق نطق «التاء» حال الوقف، دون مراعاة قوة الجبهر، وضعف الممس. والذي يلاحظ على هذا أن صوت «التاء» مع ضخامة كمية الدفعه الهوائية المرافقة لها حال النطق بها، تبقى أقل إساعاً من «الدال»، وهذا أمر بين لا يحتاج إلى دليل، فمن بعد لأنّه لا تسمع «التاء» كسامع «الدال» حال الوقف عليهم.

فيذا ونظائره يكشف لنا «أن مسألة قوة الأصوات وضعفها لم تكتمل حدودها بعد في بحوثهم، غير أن الأساس عندهم، وإن لم يصرحوا به، هو : مقدار الجهد العضلي المبذول في النطق. ثم إنهم لم يتركوا مسألة تقديم الأقوى على الأضعف دون تعليل من أجل اكتفاء بالخطوط العامة لبحث هذه الظاهرة، بغض النظر عن دقة هذا التعليل، ومدى ملاءمته للبحث اللغوي.

ففيه قال ابن جني : «وأنا أرى أنهم يقدمون الأقوى من المتقاربين»، من قبل أن جمع

المتقاربين يثقل على النفس، فلما اعتزموا النطق بهما قدروا

أقواها لأمرین :

— أحدهما : أن رتبة الأقوى

أبداً أسبق وأعلى،

— والآخر : أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف، من يتبّل أن المتكلم في أول نطقه

صُمِّتْ عَنْهَا أَنْ تَبْنِي مِنْهَا كَلْمَةً رِباعِيَّةً أَوْ خَمَاسِيَّةً».<sup>(44)</sup>

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ وَقَفُوا عَلَى كَلْمَاتٍ قَلِيلَةً رِباعِيَّةً أَوْ خَمَاسِيَّةً خَالِفَتْ هَذَا التَّشْكِيلُ الصَّوْرِيِّ، فَخَلَتْ مِنْ أَحْرَفَ الْذَّلَاقَةِ، مِنْهَا:

الْعَسْجَدُ، وَالْعَسْطَوْسُ، وَالْدَّهْدَقَةُ، وَالْزَّهْرَقَةُ.<sup>(45)</sup>

وَعَلَلَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ وَرَوَدُ مُثْلُ هَذِهِ الْأَفْاظِ، بِقَوْلِهِ:

«وَهَذِهِ الْأَحْرَفُ قَدْ عَرَّيْنَ مِنَ الْحَرُوفِ الْذَّلِقِ، كَذَلِكَ نَزَرْنَ فَقَلَّنْ، وَلَوْلَا مَا لَزَمَهُنْ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَافِ مَا حَسُنَ عَلَى سَحَلٍ، وَلَكِنَ الْعَيْنُ وَالْقَافُ لَا تَدْخَلَا فِي بَنَاءِ إِلَّا حَسْتَنَاهُ؛ لَأَنَّهُمَا أَطْلَقَا الْحَرُوفَ وَأَضْخَمُهَا جَرْسَأُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا أَوْ أَحْدَاهُمَا فِي بَنَاءِ حَسْنٍ الْبَنَاءُ لِنَصَاعِتِهِمَا... فَإِنْ كَانَ الْبَنَاءُ إِسْمُ لِزْمَتِهِ السِّينِ أَوِ الدَّالِ مَعَ لِزْمَوْنِ الْعَيْنِ أَوِ الْقَافِ؛ لَأَنَّ الدَّالَ لَا تَنْتَعَنْ صَلَابَةَ الطَّاءِ... وَصَارَتْ حَالُ السِّينِ بَيْنَ مُخْرَجِ الصَّادِ وَالْزَّايِ...»<sup>(46)</sup>

وَمَثَادُ هَذَا التَّعْلِيلِ هُوَ كُونُ صُوتِيِّ الْعَيْنِ وَالْقَافِ، قَدْ خَفَقْنَا مِنَ الثَّقْلِ النَّطْقِيِّ الَّذِي سَبَبَهُ خَلُوُ الْبَنَاءِ مِنْ أَحْرَفَ الْذَّلَاقَةِ، وَتَزْدَادُ الْخَفْفَةِ إِذَا لَرْمَتْهُمَا السِّينُ، أَوِ الدَّالُ.

رَابِعًا : وَفِي مُقَابِلِ هَذِهِ الصُّورِ النَّادِرَةِ، أَوِ الْاقْتَرَانَاتِ الْعَقِيمَةِ فِي الْلِّغَةِ، نَبَهَ الْتَّغْوِيُونُ الْعَرَبَ إِلَى الْاقْتَرَانَاتِ الْحَسِنَةِ. فِي الْكَلْمَاتِ الْمُؤْلَفَةِ مِنْ أَصْوَاتٍ مُتَبَعِّدَةٍ الْمُخَارِجِ :

— قَالَ أَبْنَ دَرِيدَ : «أَحْسَنُ الْأَبْنَيَةِ عِنْدَهُمْ، أَنْ يَبْنُوا بِامْتِزاجِ الْحَرُوفِ الْمُتَبَعِّدَةِ». <sup>(47)</sup>

— وَقَالَ أَبْنَ جَنْيَ : «أَعْلَمُ أَنْ هَذِهِ الْحَرُوفُ كُلُّمَا تَبَعَّدَتْ فِي التَّأْلِيفِ كَانَ أَحْسَنَ». <sup>(48)</sup>

وَيَخْتَصُّ هَذَا النَّوْعُ بِالْأَصْوَاتِ الْمُصْمَتَةِ — وَهِيَ الْأَصْوَاتُ الصَّاحِحَةُ عَدَّا الْأَصْوَاتِ الْمُذَلَّقَةِ — إِذَا مُعْتَدِلَتْ مِنْ أَنْ تَقْتَرَنْ فِيمَا بَيْنَهَا مُفْرَدَةً، لِتُؤْلِفَ أَصْوَلُ الْكَلْمَاتِ الرِّباعِيَّةِ، وَالْخَمَاسِيَّةِ، يَشَهِّدُ بِذَلِكَ تَسْمِيَّتُهَا بِالْمُصْمَتَةِ،

قَالَ الْأَخْفَشُ : «وَسُمِّيَ ... مُصْمَتَةً لِأَنَّهَا أَصْمَتَتْ أَنْ تَخْتَصُّ بِالْبَنَاءِ إِذَا كَثُرَتْ حَرُوفُ لَا عِتَاصَهَا عَلَى الْلِّسَانِ»:<sup>(42)</sup>

يَعْنِي : أَنْ كُلَّ كَلْمَةٍ رِباعِيَّةٍ أَوْ خَمَاسِيَّةٍ الأَصْلُ، لَابِدَ أَنْ تَشْتَمَلَ عَلَى أَحَدِ الْأَصْوَاتِ الْمُذَلَّقَةِ وَهِيَ : الرَّاءُ، وَاللَّامُ، وَالنُّونُ، وَالفَاءُ، وَالبَاءُ، وَالْمِيمُ لِلْخَفْفَةِ النَّطْقِيِّ الَّتِي تَنْهَا بِهَا هَذِهِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي قَابَلُوا بِهَا يَقْلُلُ نُطْقُ الْأَصْوَاتِ الْمُصْمَتَةِ،

وَهُوَ أَمْرُ التَّفْتِ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ، وَعِدَهُ قَانُونَا يَحْكُمُ بِهِ عَلَى أَصْسَالِ الْكَلْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ عَدْمِهَا،

قَالَ : «فَإِنْ وَرَدَتْ عَلَيْكَ كَلْمَةٌ رِباعِيَّةٌ أَوْ خَمَاسِيَّةٌ مَعْرَأَةً مِنْ حَرُوفِ الْذَّلِقِ أَوِ الشَّفْوَيَّةِ، وَلَا يَكُونُ فِي تَلْكَ الْكَلْمَةِ مِنْ هَذِهِ الْحَرُوفِ حَرْفٌ وَاحِدٌ، أَوْ اثْنَانٌ، أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ تَلْكَ الْكَلْمَةَ مُحَدَّثَةٌ مُبْتَدَعَةٌ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ؛ لَأَنَّكَ لَسْتَ وَاحِدًا مِنْ يَسْمَعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلْمَةً وَاحِدَةً رِباعِيَّةً أَوْ خَمَاسِيَّةً إِلَّا وَفِيهَا مِنْ حَرُوفِ الْذَّلِقِ وَالشَّفْوَيَّةِ وَاحِدَةً، أَوْ اثْنَانَ، أَوْ أَكْثَرَ».<sup>(43)</sup>

وَأَكَدَ أَبْنَ جَنْيَ هَذَا الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ :

«فَعَمْتُ وَجَدْتُ كَلْمَةً رِباعِيَّةً أَوْ خَمَاسِيَّةً مَعْرَأَةً مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ الستَّةِ، فَأَنْظَرْتُ بِأَنَّهُ دَخَلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ مِنْهُ؛ وَلَذَلِكَ سُمِّيَتْ غَيْرُ الْحَرُوفِ هَذِهِ الستَّةِ مُصْمَتَةً، أَيْ :

وفي مقابل ذلك لا يعني أن التباعد سبب للحسن دائمًا، فقد أشكل «ابن الأثير» عليه بورود كلمة (ملع)،

قال: «فإن هذه النقطة مكرورة الاستعمال ينسى عنها الذوق السليم، ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة، وهيئنا نكتة غريبة، وهو أنا إذا عكسنا حروف هذه المقطة صارت: «علم»، وعند ذلك تكون حسنة لامزيد على حسنها، وما ندرى كيف صار القبح حسناً لأنه لم يتغير من مخارجها شيء». (٥٢)

والإجابة عن حيرة «ابن الأثير» لاتعدو أمرين:

أولهما: هو إدراك مسألة الاهتمام والاستعمال في العربية، فهناك ألفاظ أهلت ولم تستعمل، وقد رصدت هذه الألفاظ في المعاجم العربية وإذا كان هذا الاهتمام لم يشمل مادة «ملع» حيث جاء في «جميزة ابن دريد» «أن الملع: السرعة» (٥٣)، يبقى عندنا

ثانيهما: وهو الحس المرهف بالليل إلى المقطة، والاحساس بمحملها وعذوبتها، كما مر في قول الرمانى.

أما إذا لزم اقتران الأصوات المتقاربة ولا يحيض عنه، فقد لاحظوا أن الصوت المتقدم هو الأقوى، والمتاخر هو الأضعف، علماً أنهم لم يختلفوا لنا دراسة دقيقة المعالم في قوة الأصوات وضعفها أسوة بدراساتهم الصوتية الأخرى.

فإن اقرن الصوتان ولم يستطيعوا فيما يحارة تقديم الأقوى على الأضعف، جلأوا إلى الإبدال أو الإدغام تحقيقاً للانسجام الصوتي، ويسيراً لعملية النطق من الاستئصال المكرور.

والحمد لله رب العالمين

وهذا هو الأساس الذي ابتنى عليه أغلب أبنية الأنماط، كأنه الأساس الذي اعتمدته البلاغيون (٤٩) في بحوثهم عن مسألة فصاحة المقطة... إذ أن أولى شروط فصاحة المقطة عندهم: أن يكون تأليفها من حروف متباينة الخارج.

ووصل ابن جني إلى نتائج أخرى من خلال استقراءه لصور الاقترانات في العربية، فقد رأى أن تأليف الحروف واقترانها على ثلاثة أضرب، هي:

(تأليف المتبااعدة، وهو الأحسن، والآخر: تضييف الحرف نفسه، وهو يلي القسم الأول في الحسن،

والآخر: تأليف التجاورة، وهو دون الاثنين الأوليين، فإما رُفض أبته، وإما قلل استعماله». (٥٠)

أما ضابط استحسان هذا الاقتران، والابتعاد عن ذاك، فهو الحس المرهف الذي تميز به الناطقون بالعربية».

— وفيه قاد الرمانى: «وأما الحسن بتأليف الحروف الثلاثة، فهو مدرك بالحسن، موجود في المقطة». (٥١)

وخلال مامر فإن أساس ظاهرة اقتران الأصوات وتأفارها — كما تبين لنا من أقوالهم — قد بنيت على فكرة تقارب الخارج وتباعدها، فكل ما تباعد مخارجه كان تأليفه أحسن، وعلى العكس فإن تقارب الأصوات مرغوب عنه لشقه في النطق، خاصة في أصوات الحلق، وأقصى الحنك، لغلوظ عضا الموضعين وصلابتهما.

ولا يعني هذا أن التقارب مرغوب عنه دائمًا، فقد وردت ألفاظ متقاربة الخارج، وما نال هذا التقارب من فصاحتها وحسنها وجمالها.

## هوماوش البحث

- 1 - جهرة اللغة : المقدمة 1
- 2 - البيان والبيان 1/69، ينظر للابتعاث «الاتراتات غير المسروح بها» التي رصدها شهاب الدين المفاسحي في كتابه «شفاء الغليل» 6 - 17
- 3 - البيان والبيان 22/1
- 4 - المصطف 90/1
- 5 - العين : باب العين مع الماء 68/1
- 6 - المتنبب 295/1
- 7 - جهرة اللغة : المقدمة 1/9
- 8 - سر مساعة الاعراب 65/1
- 9 - شرح الكتاب للسجراي (مختصر)، 531/6
- 10 - المصالص 54/1
- 11 - جهرة اللغة : المقدمة 1/9
- 12 - سر مساعة الاعراب 2/812 - 813
- 13 - جهرة اللغة : المقدمة 1/6 جمع (الجيم والشين) مع (الناف والكاف) في غرجم واحد هو أنتهى الفم أمر لم يوفق به ابن دريد، والجيم والشين كما قرر سيريه وكذلك اخندرون من وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى، وقد عالجنا هذا الأمر في كتابنا «الذكير الصري». 14 - جهرة اللغة : المقدمة 1/6 - 7
- 15 - المصالص 54/1
- 16 - الاشتناق، لابن السراج 46
- 17 - جهرة اللغة : المقدمة 12/1
- 18 - سر مساعة الاعراب 2/813
- 19 - المصالص 54/1
- 20 - وريل : دروية صغيرة أصغر من الضب
- 21 - الرقة : شقق أول الكلام.
- 22 - الاشتناق، لابن السراج 46
- 23 - جهرة اللغة : المقدمة 9/1
- 24 - المصالص 54/1
- 25 - دراسة الصوت التغري 340
- 26 - الاشتناق، لابن السراج 48
- 27 - جهرة اللغة : المقدمة 12/1
- 28 - جهرة اللغة : المقدمة 9/1
- 29 - المصالص 54/1 بصرف
- 30 - المصالص 158:2
- 31 - المصالص 163:2
- 32 - المصالص 160:2
- 33 - دراسة الصوت التغري 340
- 34 - المصالص 1:54:2
- 35 - الشبيه على شرح متكلمات المسامة (مختصر)، 177

- 36 — الاشتغال، لابن السراج 46  
 37 — الخفافيش 54/1 55  
 38 — الخفافيش 55/1  
 39 — جمهرة اللغة : المقدمة 9/1  
 40 — جمهرة اللغة : المقدمة 6/1  
 41 — مثلث الساير 60  
 42 — جمهرة اللغة : المقدمة 7/1  
 43 — العين : المقدمة 58/1  
 44 — سر صناعة الاعراب 65/1  
 45 — المسجد : الذهب، والمسطورس : الحيزران، والندمنة : الفطحي والتکبر، والزهرة : ترقیص الأم  
 الصبی .  
 46 — العین : المقدمة 60/1  
 47 — جمهرة اللغة : المقدمة 11/1  
 48 — سر صناعة الاعراب 65/1  
 49 — سر الفصاحة للخفاجي 60  
 50 — سر صناعة الاعراب 816/2  
 51 — التکت في إعجاز القرآن 72  
 52 — مثلث الساير 61  
 53 — جمهرة اللغة : علم 139/3

## مصادر البحث

- 1 - الاستفانق، لابن السراج، تحقيق محمد صالح (بغداد، 1973).
- 2 - البيان والبيان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، 1975).
- 3 - الشبي على شرح مشكلات الحماة، لابن جني (محضوظ رسالة ماجستير بآداب القاهرة ليسري (التوسي).
- 4 - حجيرة الللة، لابن دريد (جدير آثار بافت، 1344 هـ).
- 5 - الحصائص، لابن جني، تحقيق النجار (القاهرة، 1952 - 1956).
- 6 - دراسة الصور التلويني، د. أحمد مختار عمر (القاهرة، 1976).
- 7 - سر صاعة الأغراض، لابن جني، تحقيق د. حسن هشادي (دمشق، 1985).
- 8 - سر النصاحة، للخفاجي، تحقيق عبد المعال الصعدي (القاهرة، 1969).
- 9 - شرح كتاب سيريه، للسراوي (محضوظ بدار الكتب المصرية، 528 نمو).
- 10 - العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. عبد الله درويش (بغداد، 1386 هـ).
- 11 - المثل السائر، لابن الأثير (القاهرة، 1312 هـ).
- 12 - المتشبب، للمغيري، تحقيق الشيخ عصبة (القاهرة، 1963).
- 13 - المصنف في شرح تصريف المازري، لابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى (القاهرة، 1954).
- 14 - الكت في إعجاز القرآن، للبلاتاني، تحقيق د. محمد أحمد حلف (القاهرة، 1976).